

## الحلقة (٢٧)

❖ نكمل آية الدين عند قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (٢٨٢).

### ❖ مفردات الآية:

﴿قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْأَمُوا﴾ تسأموا بمعنى أن تملوا، أو يتسرب إليكم الملل، والسأمة والسامة حالان من الضمير في تكتبوه، وقدم الصغير اهتماما به، إذ الصغير بالغالب لا يستطيع أن يدير أموره بنفسه، بل لابد من المعاونة والمعاونة والإدارة من جهة من يقف معه حتى يرشد ويكبر.

﴿قوله تعالى: ﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ معناه أعدل وهذا هو المعنى الشائع في قوله عز وجل: ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أي أعدل عند الله ذلكم أقسط عند الله معناه أعدل، أي إن فعلتم وقمتم بتلك التوجيهات النيرات الساطعات فأنتم تيقنوا وأيقنوا أنكم عند الله عز وجل بهذا الصنيع أعدل من لو أنكم لم تتقيدوا بهذه الإرشادات والتعليمات، إذن ذلكم أقسط عند الله معناه أعدل أي أن يكتب القليل والكثير ويُستشهد عليه أقوم عند الله عز وجل.

﴿قوله تعالى: ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾ أي: أصح وأحفظ.

﴿قوله تعالى: ﴿وَأَدْنَىٰ﴾ معناه أقرب.

﴿قوله تعالى: ﴿تَرْتَابُوا﴾ تشكوا.

يعني هذه الإرشادات القادמות من رب الأرض والسموات هي بمصلحتنا نحن، فانظروا واذهبوا إلى المحاكم، إنَّ شعور الإنسان لا يصطدم بين الأخ وأخيه، بين الأب وابنه، وبين الزوج وفي الغالب مطلقة، بين الإخوة، بين الفخذ، بين الأبناء، بين الأصحاب، بين الأحباب، كل ذلك بسبب عدم إعمال وتفعل هذه الإرشادات، فماذا يضير الإنسان لو أنه أخذ بهذه التوجيهات فكتب كل معاملة صغيرة أو كبيرة، كثيرة أو قليلة، لكن الحياء المذموم كما قلنا بالبداية يتقابلون بالابتسامات وينتهون بالقتلات، كل ذلك لأن هذا المتعامل بالمعاملة المالية سواء أكانت مدينة أم غيرها تجده تخلف عن هذه الإرشادات فوقع في الورطات، إذ لو أنه أعملها ولا يضيرك أن يقال إن فلان فيه من الحرص كذا وكذا أو أنه شديد لا يضر هذا، المهم أن نأسس صح حتى تكون النتائج جميلة، غدا عند استيفاء الحق إذا كان الرجل أنكر فإذاً لدي الدليل المادي، والدليل ما هو مكتوب بالإشهاد مع

الشهود الذين عاينوا واستكتبوا فكتبوا، فإذا هذه الوثيقة باقية أبداً فإن تغيرت نيته أو ذمته فإنك تستوفي حقه مع هذه الورقة التي أخذتها أنت استهداءً واسترشاداً من الآية، فلا مشكلة، وإن غضب فليشرب من مياه المحيطات إذ أنك تفعل حكماً إرشادياً من الله عز وجل، ذلك حتى لا يقع المحذور. فإذا { **وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا** } ريال ريالين، مئة، أقل، وأن تكتبوه صغيراً أو كبيراً، المبلغ الذي هو تريليون يكتب هذا ويكتب ذاك، { **ذَلِكَ** } تلك الإرشادات { **أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ** } وأعدل عند الله سبحانه وتعالى وأرضى الله، { **وَأَقْرَبُ لِلشَّهَادَةِ** } أصلح لها وأحفظ لها، { **وَأَدْنَى** } معناه أقرب { **أَلَّا تَرْتَابُوا** }، وما أكثر ما يرتاب الناس في المعاملات المالية لاسيما إذا كان المال محبوباً إلى الأنفس أكثر من غيره فإذا على الدنيا العفاء.

إذن فهذه ثلاث يملل، ويستخرج منها أن المقصد الشرعي أن تكون الشهادة في الحقوق بينة وواضحة بعيدة عن الاحتمالات والتوهمات.

◀ اسم الإشارة { **ذَلِكَ** } : عائد إلى جميع ما تقدم باعتبار أنه مذكور، فلذلك أشير إليه باسم إشارة الواحد { **ذَلِكَ** }.

❶ وفي الآية حُجة لجواز تعليل الحكم الشرعي بعلة متعددة، والناس مختلفون هل الأحكام الشرعية علة وحكم أم أنها لمجرد التعبد؟

الذي يظهر باستقراء القرآن الكريم أن الأحكام الشرعية معللة، قال الله عز وجل بعد أن ذكر ما فعله هابيل وقابيل، قال: { **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا** }.

إذن ما أكثر ما يأتي في كتاب الله عز وجل بعد تثبيت الأحكام: تبيان عللها وحكمها، وأظن أن المسألة فيها خلاف قديم مشهور بين أهل العلم، لكن الذي عليه المحققون كابن القيم رحمه الله تعالى وغيره أن الأحكام الشرعية معللة، ودليلنا في ما معنا من الآيات { **ذَلِكَ** } هذا تعليل، { **أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ** } أي بعد أن ذكر تلك الأمور قال في النهاية ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى ألا ترتابوا، ومن أراد التوسع في هذا فعليه أن يعود إلى كتاب أعلام الموقعين عن رب العالمين لشيخ الإسلام ابن القيم رحمه الله تعالى.

◀ قوله تعالى: { **إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَإِنَّهُ فَسُقٌ بِكُمْ** } : أي إنكم إن فعلتم هذه الصفة فاعلموا أن حالكم ليست طيبة.

### ❷ القراءات في الآية:

◀ قرأ جمهور القراء { **إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً** } بالرفع على معنى الحدوث والوقوع، وهنا "كان" تامة، أي أن خبرها محذوف أو مقدر.

﴿ وقرأ الإمام عاصم الكوفي رحمه الله تعالى ﴾ **﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾**  
بالنصب على أنه خبر كان، وهنا "كان" ناقصة وليست بتامة، وهما قراءتان سبعيتان.

### ❁ مفردات الآية:

﴿ قوله تعالى: ﴾ **﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً﴾**: { إِلَّا } فيها وجهان:

**أحدهما:** أنه استثناء متصل. **الوجه الثاني:** أنه منقطع.

أما الأول ففيه وجهان أيضا:

❁ **الوجه الأول:** أنه إذا ما قيل أن الاستثناء متصل أنه راجع إلى قوله تعالى: **﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى**

**أَجَلٍ مُّسَمًّى فَآكُتُبُوهُ﴾** وذلك لأن البيع بالدين قد يكون إلى أجل قريب وقد يكون إلى أجل بعيد، فلما أمر بالكتابة عند المداينة استثنى عنها ما إذا كان الأجل قريبا.

إذا قيل إن الاستثناء متصل هذا هو الوجه، والتقدير: إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فآكتبوه إلا أن يكون الأجل قريبا، وهو المراد من التجارة الحاضرة.

❁ **أما الوجه الثاني:** أن هذا استثناء من قوله تعالى: **﴿وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾** أيضا الاستثناء متصل.

أما الاحتمال الثاني وهو أن يكون هذا استثناءً منقطعاً فالكلام فيه تقدير، والتقدير: لكنه إذا كانت التجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها، فهذا يكون كلاما مستأنفا. ورخص الله تعالى في ترك الكتابة والإشهاد في هذا النوع من التجارة لكثرة ما يجري بين الناس، فلو تكلف فيه الكتابة والإشهاد؛ لشق الأمر على الخلق، إذن الله عز وجل رخصة ورحمة بنا عفى الإشهاد والكتابة في هذا النوع من التجارة، ولأنه إذا استوفى كل واحد من المتعاملين حقه من صاحبه في ذلك المجلس لم يكن هناك خوف التجاحد، فلم يكن هناك حاجة إلى الكتابة والإشهاد.

﴿ قوله تعالى: ﴾ **﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾**  
هي رخصة من الله عز وجل على معنى ما ذكرنا من أن الاستثناء قد يكون متصلا وهناك معنى وقد يكون منقطعا ويكون معنى آخر والمعنيان يتعانقان يلتقيان لا يتضادان.

﴿ قوله تعالى: ﴾ **﴿تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾**: أي تتعاطونها يدا بيد، والإدارة التعاطي والتقابض، والمراد: التبائع الناجز يدا بيد فلا حرج عليكم إن تركتم كتابته.

ألا ما أعظم الدين الإسلامي، ألا ما أعظم القرآن الكريم، فإن هذا النوع من البيوع الذي هو سلم واستلم هذا معفو عنه من أن يكتب الإنسان، ولأن الأعراف جرت على هذا، لماذا؟ لأن الشيء تأخذه أنت حالا أمامك فلا يحتاج في الغالب إلى خوف التجاحد يقول أني ما استلمت أو استلمت، مع أن بعض الناس كثير الحلف يقطع بتلك الأيمان حقوق الناس، وهذا هو ارتضى لنفسه وحجز لنفسه مقعده عياذا بالله في النار.

فإن حقوق العباد لا تسامح فيها، بل فيها التزام، أما حق الله عز وجل فهو حق مبني رحمة منه سبحانه ليس واجباً عليه، وهو حق مبني على التسامح، فأنت إذا أخذت من شخص، ولا سيما يشتد النكير والحرمة إذا كان الأمر على جهة الخصم والظلم والعدوان، اعلم إن فعلت ذلك فإنك قد حجزت حجزاً مؤكداً إلا أن يشاء الله عز وجل، وإلا فإن مقعدك في النار لماذا؟ لأن الله عز وجل وهو العدل المطلق سبحانه وتعالى يؤتي يوم القيامة بالشاة القرناء حتى يقتص لها من غير القرناء، هذا كله لنتبين نحن البشر ونحن المعنيون ونحن المخاطبون، يجب علينا أن نكون في أمور الناس دقيقين ولنكن سمحاء فلا إشكال، أما أن يأتي الإنسان إلى حقوق الناس فيأكلها بالآيمان فإنه إن فعل ذلك فلا يحتاج أن يتصل على خط ليحجز له، فإنه حجز لنفسه في موقع في نار الله عز وجل ومن يطيق ذلك.

**قوله تعالى: ﴿تُذِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾** أي تتعاطونها يدا بيد، والإدارة التعاطي والتقاطض، والمراد التبائع الناجز يدا بيد فلا حرج عليكم إن تركتم كتابته.

**قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾**: لعلنا نرجئ الحديث عن الآية القادمة إلى الحلقة القادمة، ولكننا نريد أن نحذر الناس كل الناس على أن يحذروا من التلاعب بأموال الناس، إن أموال الناس محرمة إلا أن تؤتى من وجهها، وطالما الأمر كذلك وطالما أن المال قسيم الروح، فإن الرسول ﷺ أخبر أن: **(من مات دون ماله فهو شهيد)**، لماذا؟ لأن هذا الحق المكتسب الذي هو مئة من الله عز وجل على الإنسان أن يحافظ عليه، وعلى أخيه الإنسان ألا يسطوا عليه بأي شكل من الأشكال.